Cahiers de Traduction

المجلد 24 / العــدد: 1 (2021)، ص 179- 192

المترجم الذاتي و ترجمة الخصوصيات الثقافية: بين نعمة الحرية و نقمة الأمانة

د.واعمر لمياء[1]

[1] جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة 1 (الجزائر)، ouameur.lamia @gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/04 تاريخ القبول: 2021/06/01 تاريخ النشر: 2021/06/08

الملخّص:

تطرح الترجمة الذّاتية إشكالات عدّة في الحقل الترجمي، و هذا راجع في الأساس إلى كون الذات الكاتبة هي نفسها الذات المترجمة ممّا يجعل الفعل الترجمي الذاتي يتشعّب ليشمل حزمة من العوامل النفسية و الاجتماعية و الثقافية التي تتدخّل أثناء تحقيق الفعل الترجمي الذاتي، و المترجم الذاتي ينظر إليه بوصفه مترجم من نوع خاص يتفرّد بامتيازات عدّة مقارنة بالمترجم العادي، و لعلّ أهمّ امتياز هو ذلك الذي تمنحه إيّاه الحرية التي يتمتّع بها أثناء تحقيقه لفعله الترجمي، حيث نجده يتصرّف بكلّ أريحية في ترجمته إلى حدّ يجعله يعيد كتابة نصّه باللغة المستهدفة، فيحدث تغييرات على النص المصدر فيضيف تارة و يحذف تارة أخرى، و يكيّف طورا و يستبدل طورا آخر، كيف لا و هو صاحب النصّ الأصلي و المؤوّل الأفضل لمقاصده، و المفسّر الوحيد للمضمر من المعاني المتضمّنة فيه، لا سيما تلك التي تكون معبّئة بشحنة ثقافية يختصّ بها مجتمعه دون غيره من المجتمعات، هذا التصرّف يضع عنصر " الأمانة " على المحكّ، و سنحاول من خلال هذا العمل تسليط الضوء على مدى أمانة المترجم الذاتي في نقل العامل الثقافي، كما سنكشف عن المناهج المعتمدة في التعامل مع هذا العامل بين التوطين أحيانا و التغريب أحيانا أخرى.

الكلمات المفتاحية: المترجم الذاتي – الحرية– الخصوصيات الثقافية – الأمانة – التوطين – التغريب.

Résumé :

Incontestablement, l'autotraducteur est un traducteur privilégié, qui jouit d'une liberté presque absolue – étant le propriétaire du texte originale et le meilleur interprète des intentions de l'auteur (lui-même)-cette autorité lui confère le droit d'apporter à son texte source certaines modifications, en procédant à des adaptations diverses (ajouts, omissions, substitutions , transpositions…) notamment lorsqu'il s'agit de la traduction des faits culturels par lesquels sa société se singularise, ce privilège soulève la question de « fidélité » que nous allons essayer de mettre en lumière par le présent travail, puisque cette notion s'impose fortement et pose d'avantages de questions, vu que l'esprit de l'autotrducteur oscille entre deux mondes différents, et deux cultures distinctes, ce qui l'oblige à adopter de diverses méthodes traductives

dans sa traduction en faisant recours à des stratégies tantôt naturalisantes tantôt dépaysantes et le seul et unique but pour l'autotraducteur est de produire un texte claire et compréhensible pour le récepteur.

Mots clés : Autotraducteur-Liberté- Spécificités culturelles- Fidélité- Stratégie naturalisante- Stratégie dépaysante.

المقدمة:

لطالما اقترن الحراك الذي شهده تواصل الحضارات عبر التاريخ، اقترانا وثيقا بحركة الترجمة التي أسهمت منذ غابر الأزمان –بقدر كبير– في مدّ أواصر التواصل بين شعوب المعمورة، بوصفها وسيلة تضمن تعارف المجتمعات على اختلاف عاداتها، و تقاليدها و أعرافها، و أجناسها، فالترجمة:" تفتح نافذة كي تسمح لضوء النهار بالولوج، و هي تكسر القشرة كي نتمكّن من تذوّق الفاكهة و تزيح السّتار كي نمعن النظر في أقدس مكان، و ترفع غطاء البئر كي نصل إلى الماء، مثلما أزاح يعقوب الحجرة التي كانت تغطي البئر كي ترتوي أغنام لابان Laban" [1]، و بذا تكون الترجمة ذلك الفضاء الذي تلتقي فيه الثقافات فتتلاقح و تتمازج، بغرض التكامل و التواصل عوض التصادم و التآكل.

مما لا ريب فيه، أن هذا الدور الفعال الذي تلعبه الترجمة في إحلال التحاور و فتح قنوات التواصل بين بني البشر على اختلاف ألسنتهم، يلزم المترجم بالتحلي بصفات عدّة تمكّنه من انجاز عمله بجودة و على أكمل وجه، و أوّل شرط يخوّل له تحقيق ذلك، هو مدى إخلاصه أو أمانته في نقل النص من اللغة المصدر إلى اللغة المستهدفة.

يعدّ مفهوم الأمانة في مجال الترجمة مفهوما ضبابيا، مبهما، يطرح إشكالات عدّة بالنسبة للمغامر في الفضاء الترجمي – ممارسا كان أم باحثا – ولقد شكّل هذا المفهوم نقطة جدل واسع بين جمهور الباحثين في المضمار الترجمي، و انبثقت عنه نظريات ترجمية مختلفة، فنظرة سريعة على تاريخ نظرية الترجمة، تبيّن لنا جليّا بأن التفكير في قضايا الترجمة بدأ من مسألة "الأمانة " التي ظلّت مطروحة بقوة على مرّ العصور، فلطالما قيّمت جودة الترجمات من خلال مدى أمانة المترجم للنص الأصلي، و للثقافة التي يجسدها، و للعالم الذي يصوّره، و هذه العناصر تمثّل كنه " غيرية " الآخر، و جوهر تفرّده و اختلافه عن " الأنا " بوصف الذات المترجمة مختلفة و منفصلة عن الذات الكاتبة من حيث اللغة و الثقافة، و العادات و التقاليد، و المبادئ، و نمط التفكير، و هذا الاختلاف هو الذي يطرح بقوّة مسألة الأمانة في الترجمة العادية التي يتقابل فيها المترجم مع المؤلف الأصلي، فكيف ستكون الأمانة إذا كان الآخر هو نفسه الأنا؟ ما هو معيار الأمانة في الترجمة الذاتية؟ كيف يمكننا تقييم مدى أمانة المترجم في الترجمة الذاتية علما بأنّه هو نفسه المؤلف الأصلي؟ هل تخوّل له " ملكية " النص المصدر حرية التصرّف المطلق فيه و بذلك خيانة الجمهور المستهدف؟ هل المترجم الذاتي يلتزم بعنصر " الأمانة " أثناء تحقيق فعله الترجمي؟ كيف يحقّق المترجم الذاتي شرط الأمانة في الترجمة و هو يتأرجح بين عالمين مختلفين و ثقافتين متباينتين؟

سنحاول من خلال ورقتنا البحثية هذه تسليط الضوء على الاستراتيجيات التي يعتمدها المترجم الذاتي نقل الخصوصيات الثقافية بكلّ الأمانة في ظلّ الحريّة التي يتمتّع بها مقارنة بالمترجم العادي.

أولا–تعريف الترجمة الذاتية:

يتلخّص مفهوم الترجمة الذاتية، في ترجمة المؤلّف لنتاجه الأدبي بنفسه، و ترتبط هذه الحالة الاستثنائية من الترجمة بظاهرة الازدواج اللغوي أو تعدّد اللغات في أي مجتمع بشري، و هي ليست نشاطا حديث العهد بل وجدت منذ القديم؛ حيث كانت تستعمل كوسيلة للتواصل في ظلّ تعدد الألسن و اختلاف اللهجات في أوروبا، و كان المثقفون يكتبون مؤلّفاتهم باللغة اللاتينية ثم يترجمونها إلى اللغات العامية، من أجل ضمان مقروئية أوسع لها، و منهم من كان يكتب باللغات المحلية ثم يترجم إلى اللغة اللاتينية كسبيل يتيح لأعماله فرصة البقاء على الساحة الأدبية العالمية نظرا للمكانة التي كانت تتبوّؤها اللغة اللاتينية آنذاك، و هذا ما أكّده

الأستاذ **كرستيان لاغارد Christian Lagarde** الذي عرف هذا النشاط الترجمي قائلا:

« Forme particulière de la *tradition* fortement ancrée de l'exercice de la traduction, rendu nécessaire par la multiplicité des langues. » [2]

"الترجمة الذاتية شكل متميز من أشكال *التقليد*،و هي متجذرة بعمق في نشاط الترجمة، و لقد أصبحت ضرورية بفعل تعدد اللغات. " (ترجمتنا)

هذا يعني، أن ظاهرة تعدد الألسن كانت السبب الرئيس، و المحفّز الأوّل لظهور هذا النوع المتميّز و المتفرد من الترجمات– أي الترجمة الذاتية – حيث توجه المؤلفون و الكتّاب، الذين أصبح بإمكانهم التعبير و الكتابة بلغة غير لغتهم الأم إلى ترجمة أعمالهم بأنفسهم.

إذن، يمكننا القول باختصار بأن الترجمة الذاتية هي ترجمة المؤلف المزدوج اللغة لكتاباته الخاصة، و يعدّ هذا النوع من الترجمات مادة دسمة للبحث و التنقيب، لا سيما في ظلّ الحرية التي توفّرها الذات للأنا، و التي تضع عنصر الأمانة في الترجمة على المحكّ.

ثانيا– تحديد مفهوم الأمانة:

قبل الخوض في الحديث عن مفهوم " الأمانة " في الترجمة، لا ضير من ضبط هذا المفهوم لغة أولا، كي يتسنى لنا فهمه وحصر معناه اصطلاحا.

لقد عرّفت الأمانة في معجم المعاني الجامع كما يلي: أمانة (اسم)، مصدره أمن، و معناها نزاهة، صدق، إخلاص، ثبات على العهد، وفاء، وعكسها خيانة، و هي كل حقّ لزمك أداؤه وحفظه، و قيل: هي التعفّف عما يتصرّف الإنسان فيه.[3]

أما اصطلاحا، فلقد بدأ الحديث عن مفهوم " الأمانة " في الترجمة خلال القرن السابع عشر، تزامنا و شيوع ظاهرة " الجميلات الخائنات Les belles infidèles "، و ظهور المقولة الشهيرة " كل مترجم خائن " التي كانت بمثابة الشرارة التي أشعلت لهيب البحث و التفكير في عنصر " أمانة المترجم "، حيث انعكف أهل الاختصاص على التنقيب في هذا العنصر الذي يكتسي أهمية جوهرية في الحقل الترجمي، و بات من الضروري تحليّ كل ترجمة بصفة " الأمانة " كونها الهدف الرئيس الذي يرمي إليه أي فعل ترجمي. لطالما كان جوهر الاختلاف بين هؤلاء الدارسين يكمن في كيفية مقاربة هذا المفهوم الذي يعدّ "مفهوما مركزيا، و تاريخه عريق، إذ اتخذه البعض كمرادف للترجمة الحرفية، و رأى فيه آخرون تجسيدا لاحترام المضمون الأصلي دون التزام صياغته الشكلية، و مال فريق ثالث إلى النظر إليه بكثير من المرونة و النسبية واضعين إيّاه في منزلة وسطى بين الدقة الحرفية و الحرية الأدبية."[4] ، و لم يفصل الدرس الترجمي إلى حدّ الساعة في قضيّة وضع معالم لهذه " الأمانة " على حد تعبير المنظر **جون رونيه لادميرال Jean René Ladmiral** الذي عقّب على هذه النقطة بالذات متسائلا:

« à quoi (à qui) une traduction doit elle être fidèle? A la lettre de la langue source, ou à l'esprit de ce qu'il faudra rendre dans la langue cible…toute traduction existe dans la tension entre ces deux exigences, nécessaires et contradictoires, qui la définissent, et elle penchera nécessairement d'un coté ou de l'autre.»[5]

" لما أو بالأحرى لمن ينبغي للترجمة أن تكون أمينة؟ ألحرفية اللغة المصدر؟ أم لروح ما يجب نقله في اللغة المستهدفة؟...فكل ترجمة تكون تحت ضغط هذين الشرطين الضروريين و المتناقضين الذان يحدّدانها، و مما لا شك فيه أنها ستميل حتما لواحد منهما." (ترجمتنا)

فالمترجم لدى تحقيقه للفعل الترجمي، نجده يتأرجح دائما بين خيارين: فتارة يكون يختار التّشبث بجل خصوصيات النص المصدر و يحاول نقلها بكامل قيمها الثقافية، و الدلالية، و الجمالية، و نجده تارة أخرى، يراعي انتظار القارئ و يولي أهمية كبيرة للثقافة المستقبلة، حيث يسعى إلى إنتاج نص جميل في اللغة الوصل يستسيغه المتلقي، و يستقبله كما لو كان أصليا في تلك اللغة.

لا يختلف إثنان في كون المترجم هو الوسيط بين المؤلف الكاتب، و القارئ المتلقي، و هو المرآة العاكسة لثقافة، و أفكار المؤلف الأصلي، و هذا الموضع يحتّم عليه ضرورة تحري أكبر قدر ممكن من الأمانة في نقل هذه العناصر إلى القارئ المستقبل، و هذا الالتزام المعنوي يصطلح عليه **كرستيان لاغارد Christian Lagarde** مصطلح **ميثاق الأمانة Le pacte de fidélité** و الذي يعرفه على أنه:

« La notion de pacte dans le contexte de la traduction implique que la traduction repose sur un accord de confiance, en effet, le traducteur s'engage à réaliser un produit véridique. » [6]

" إن مفهوم " الميثاق " في مجال الترجمة، يعني أن الترجمة تقوم على أساس اتفاق ثقة، ففي واقع الأمر، يلتزم المترجم بتحقيق إنتاج حقيقي." (ترجمتنا)

من هنا، يتبيّن لنا جليا بأنّ مفهوم الأمانة يرتبط ارتباطا وثيقا بثنائية " الأنا و الآخر "، و مدى احترام هذا "الآخر" لغيرية الذات الكاتبة، فيصبح عمل المترجم مقيّدا، و تكبّل حريّته، و تبقى أفكاره رهينة أفكار المؤلّف المبدع، بيد أنّ هناك حالة استثنائية من الترجمات من شأنها فكّ أسر المترجم، فيتحرّر من تلك القيود المعنوية، و يطلق العنان لحرية قلمه، و هي حالة الترجمة الذاتية التي يكون فيها "الآخر " هو نفسه " الأنا "، و تجتمع الذات الكاتبة و الذات المترجمة في كيان واحد.

فيا ترى إلى أي مدى تسهم " ملكية " المترجم الذاتي للنص المصدر، في إعطائه حرية التصرّف في ترجماته؟ و هل يمكنه تحقيق شرط الأمانة في ظلّ هذه الحرية؟

ثالثا– المترجم الذاتي بين نعمة الحريّة و نقمة الأمانة:

تمثّل الترجمة الذاتية ذلك الفضاء الخاص، و المتميّز الذي يمنح للكاتب فرصة الالتقاء بنفسه، فمن خلال نقله و ترجمته لعمله الإبداعي، يكون المؤلّف في موضع الشخص الذي ينظر إلى نفسه في مرآة عاكسة لتفكيره، و معبّرة عن شخصيته، فتتواجه الأنا مع ذاتها، و تتبدّى معالم الحريّة التي يتمتّع بها المترجم الذّاتي، فنجده يقرأ ترجمته بعين الناقد، فيصحح، و يعدّل، و يضيف و يحذف، متصرّفا في ترجمته إلى حد تشويه النص الأصلي في بعض الأحيان، و قد يقدّمه للقارئ في شكل عمل إبداعي " ثان " أو " جديد "، و تصبح بذلك ترجمته عبارة عن عملية إعادة تأليف باللغة المترجم إليها.

إن ضرورة مراعاة انتظار القارئ، و ضرورة الحرص على تحقيق عنصر " الأمانة " في نقل جل القيم الدلالية التي يتضمنها النص الأصلي، تضع المترجم الذاتي بين المطرقة و السندان، و يكون فعل الترجمة الذاتية، مقترنا بشعور غريب يحسه المترجم الذاتي جراء انشطاره بين ما تمليه عليه الأنا من جهة، و ما يتوقعه القارئ من قراءة الترجمة من جهة ثانية.

إنّ عمل المترجم الذاتي يكون محفوفا بجملة من الإكراهات التي تسبّبها مواجهة الذات للأنا، و هذا ما أكدته **باسكال ساردين داميستوي Pascale Sardin Damestoy** قائلة:

« L'auto-traducteur ressent une certaine répulsion à se lire »[7]

" يحس المترجم الذاتي بنوع من النفور لدى قراءته لأعماله." (ترجمتنا)

فمجرّد إعادة قراءة للترجمة المنجزة و مقارنتها بأصلها، يجعل المترجم الذاتي يضيف في مواطن، و يحذف في مواطن أخرى، خوفا من الإخلال بشرط الأمانة، و هذا ما يجعل لمترجم الذاتي ينجز عمله في ظل ضغوطات نفسية، و اجتماعية، و ثقافية كبيرة، يجد نفسه ملزما باحترام نصه و الثقافة التي يجسدها و التي يهدف – من خلال ترجمته– إلى التعريف بها من جهة، كما يرمي إلى نقلها للقارئ نقلا أمينا وكاملا بجلّ القيم التي تتضمنها من جهة ثانية، مما يجعله يتصرف في ترجمته بإجراء جملة من التعديلات التي تكون في بعض الأحيان "جوهرية " على النص الأصل.

قد يحسد المترجم الذاتي على الحرية التي يتمتّع بها، و التي تمنحه "الأفضلية" مقارنة بالمترجم العادي على حدّ تعبير الباحثة في مجال الترجمة الذاتية **شيارا مونتيني Chiara Montini** حين قالت:

« L'auto-traducteur est privilégié, la lecture et la critique lui octroient une liberté plus importante que celle du traducteur. »[8]

" المترجم الذاتي هو مترجم متميز، فالقراءة و النقد يمنحانه حرية أهم من تلك الممنوحة للمترجم." (ترجمتنا).

بيد أنها في واقع الأمر تضعه في مآزق عديدة، حيث يواجه صعوبات و عقبات قد تعرقل مساره الترجمي، و التي قد تشكّل حجرة عثرة بالنسبة له، على حد تعبير **كريستيان لاغارد Christian Lagarde** حين قال:

« La liberté conférée à l'auteur-autotraducteur, sa propriété intellectuelle sur le texte source, appréciable par rapport au traducteur « Allographe » n'en comporte pas moins en retour un certains nombre d'inconvénients. »[9]

" إن الحرية الممنوحة للكاتب-المترجم الذاتي، وملكيته الفكرية للنص الأصلي، و التي تكون معتبرة مقارنة بالمترجم الذي يترجم أعمال غيره، لا تخلو من بعض العقبات." (ترجمتنا)

و تكمن أهمّ عقبة بالنسبة للترجم الذاتي، في انشطاره الدائم بين النص الأصل و الثقافة التي يجسّدها، و القارئ المستهدف في الثقافة الوصل، فنجده يحرص في ترجمته على تحقيق الأمانة على صعيدين:

على الصعيد الأوّل، الأمانة للنص الأصلي و للثقافة التي يجسّدها، و التي تعدّ مصدر إلهامه، و منبع إبداعه، و التي يحاول من خلال ترجمته التعريف بها على أوسع نطاق ممكن. و على الصعيد الثاني، الأمانة للثقافة المستهدفة و عدم خذلان القارئ المستهدف الذي ينتظر ترجمة جميلة تنقله إلى عالم " الآخر " بجلّ خصوصياته وبكامل تفاصيله، الأمر الذي يجعل المترجم الذاتي يبدع في عمله، و يحاول قدر الإمكان جعل نصه المترجم نصا واضحا، خاليا من المواطن العتمة و الغامضة التي تعيق فهم القارئ التي قد تحول دون تحصيله لجملة القيم الدلالية المتضمنة في النص الأصلي و التي تحملها الخصوصيات الثقافية.

من خلال ما سبق ذكره، يتبين لنا بأن المترجم الذاتي يبذل قصارى جهده من أجل إرضاء جمهوره القارئ، و تصرّفه في نصه الأصلي ما هو في الحقيقة إلا دليل على حرصه المتواصل للحفاظ على الثقافة المصدرية من جهة، و على إلحاحه على نقلها بجل خصوصياتها إلى الثقافة المستقبلة من جهة أخرى، و لعل هذا الحرص " المزدوج " هو الذي يجعل المترجم الذاتي يشعر بنوع من عدم التوازن النفسي على حد تعبير **ألبير ميمي Albert Memmi** حين قال:

« Un homme à cheval sur deux cultures est rarement bien assis. »[10]

" إن الرجل الذي يمتطي حصانا على ثقافتين ناذرا ما يكون مرتاحا في ركوبه." (ترجمتنا)

هذا يعني، أن عبور المترجم الذاتي من ضفة الثقافة الأصلية إلى ضفة الثقافة المستهدفة، ليس بالأمر الهين، و ربما هذا التعثر بين الثقافات هو الذي يدفع المترجم الذاتي إلى اعتماد مناهج مختلفة في نقل نصه الأصلي؛ فقد ينتهج في بعض الأحيان الترجمة الحرة التي تجعل نصه المترجم يبدو وكأنه نص جديد مؤلف في اللغة المستهدفة، كما أنه قد يتصرف في نقل المعاني المعبر عنها في اللغة الأصلية فنجده يحذف تارة، و يضيف تارة أخرى، و يكون ذلك لغرض واحد يتمثل في تلقي العمل المترجم ذاتيا تلقيا جيدا يتوافق و توقع الجمهور القارئ، و يكون شديد الحرص على نقل نصه الأصلي بكافة خصوصياته الفنية، و الثقافيـــة و الدلالية التي صدرت أصلا من ذاته،كيف لا و هو الذي يعي تماما المقاصد التي يرمي إليها النص المصدر، و يدرك تمام الإدراك القيم الدلالية المتضمنة فيه، فيحاول قدر الإمكان التعبير عمّا ورد ضمن نصه الأصلي، من صور مجسّدة للثقافة، وأفكار تعكس نمط عيش المجتمع، فيبدع حتّى يظهر نتاجه الترجمي بحلة جديدة جميلة، مكتوب بلغة ثانية غير تلك التي كتب بها أصلا، و هذا لا يعني البتة بأن مساره يخلو من المطبّات، و العقبات، و الرهانات، التي ينبغي رفعها من أجل تكليل عمله بالنجاح، فالمترجم الذاتي حر في عمله؛ ففي بعض الحالات يكون مصدري النزعة و في حالات أخرى يكون استهدافيا، فاختياراته الترجمية تتم حسب ما يراه هو مناسبا لترجمة أعماله دون أن يتقيد بطريقة أو بمنهج معين، ففي الترجمة الذاتية يكون الآخر هو الأنا، و الأفكار الواردة نابعة من الأنا، و من ثمة فالاختيار يرجع للأنا دون غيره.

رابعا– الاستراتيجيات المتبعة في ترجمة العامل الثقافي في الترجمة الذاتية:

لقد كانت جل الدراسات التي انجزت في مضمار الترجمة طيلة فترة الخمسينيات و الستينيات، تركز اهتمامها على الجانب اللغوي في الترجمة؛ حيث كان موضوع الترجمة تتناوله مقاربات لسانية بحتة. و مع بداية السبعينيات، بدأ الاهتمام يغيّر اتجاهه كي يلتف حول عنصر الثقافة الذي صار يطرح العديد من الإشكاليات التي ينبغي التوقف عندها، لقد قسم المنظر **جون رونيه لادميرال Jean René Ladmiral** الإستراتيجيات المتبعة في الترجمة بصفة عامة، إلى إستراتيجيات مصدرية Stratégies Sourcières و إستراتيجيات استهدافية Stratégies Ciblistes :

فالمترجمون الذين يتبعون الاستراتيجية المصدرية، يركزون جل اهتمامهم على النص الأصلي والثقافة المصدرية، و يركزون على عنصر الدال le signifiant.

في حين نجد أن أتباع الإستراتيجية الاستهدافية لا يهتمون لا بالدال و لا بالمدلولle signifié ، بل يركزون على المعنى، ليس معنى اللسان إنما معنى الكلام، و معنى الخطاب الذي يستوجب إيصاله بوسائل اللغة المستهدفة مراعاة لانتظار القارئ، و احتراما لخصوصيات الثقافة المستقبلة. [11]

و تجدر بنا الإشارة، إلى أن معظم الترجمات كانت تركز على نقل الكاتب إلى القارئ و فقا لمقتضيات اللغة المحلية، و بالمقابل كانت هناك ترجمات تسير في الإتجاه المعاكس: أي أنها تنقل القارئ إلى فضاء اللغة المصدرية، للحفاظ على الصبغة الأجنبية للنص الأصلي، و لقد أكد المنظر **شلايرماخر Schleiermacher (1813)** أن هتين الطريقتين، هما السبيلان الوحيدان و الرئيسان في انجاز أية ترجمة حيث قال:

« Either the translator leaves the writer alone as much as possible and moves the reader toward the writer, or he leaves the reader alone as much as possible and moves the writer toward the reader. » [12]

" إما أن يترك المترجم الكاتب لوحده قدر الإمكان و يحمل القارئ إليه، أو أن يترك القارئ وحيدا في أبعد مكان ممكن و ينقل الكاتب إليه." (ترجمتنا)

لقد أخذ نشاط الترجمة العادية حصّة الأسد من الدراسات الترجمية الحديثة، حيث انعكف الباحثون على دراسة جملة الإشكالات التي يواجهها المترجم العادي في مساره الترجمي، غير أنّ نشاط الترجمة الذاتية ظل و لفترة طويلة مهمّشا، و لم يأخذ حقّه من الأبحاث النظرية- رغم المعضلات العديدة التي يطرحها – إذ لا نكاد نجد في الدرس الترجمي دراسة وافية، و بحثا مدققا و معمقا تناول قضايا الترجمة الذاتية بإلمام و اهتمام، كما أنه يتعذر علينا إيجاد حلول نظرية لجملة الإشكالات و المعضلات التي يطرحها هذا النوع المميز من الترجمات، و قد يرجع السبب في ذلك، إلى عوامل ترتبط ارتباطا وثيقا بالماهية الحقيقية و الفعلية للترجمة الذاتية، التي لطالما اعتبرت ظاهرة نادرة، متميّزة، و فريدة من نوعها على حد تعبير المنظر و الفيلسوف **انطوان بارمان Antoine Berman** حيث قال:

« Les auto-traductions sont des exceptions.»[13]

" الترجمات الذاتية هي استثناءات." (ترجمتنا)

هذا يعني، أن الباحثين في المضمار الترجمي لم يلتفوا كفاية حول هذا المراس الترجمي الشّائك و الملغّز، و يعود السبب في ذلك إلى غياب الثنائية التي شكلت لعقود طويلة من الزمن نقطة جدل بين الدارسين في حقل الترجمة الأدبية، و هي ثنائية « Dichotomie Primitive » (ذات المؤلّف و ذات المترجم) التي وصفها **ميخائيل اوستينوف** بالثنائية البـدائية حيث يقول في هذا الصدد:

« Le terme même d'auto-traduction invite bien à s'interroger sur le statut d'un texte auto-traduit dans le domaine de la littérature, habitués que l'on est à séparer l'activité de l'écrivain à celle du traducteur, cette habitude semble à tel point ancrée dans les esprits que même lorsque ces deux activités sont effectuées par la même personne, plutôt que de parler d'auto-traduction, on a tendance à s'en remettre aux termes de ce que l'on pourrait appeler la dichotomie primitive.» [14]

" إن مصطلح الترجمة الذاتية في حد ذاته يدعونا للتساؤل عن المكانة التي يحتلها النص المترجم ذاتيا في مجال الأدب، حيث اعتدنا التفريق بين عمل المؤلف و عمل المترجم، و هذه العادة تبدو راسخة في الأذهان؛ ذلك أنه حتى و إن تمّ إنجاز هذين العملين من قبل شخص واحد، فعوض الحديث عن الترجمة الذاتية يمكننا التكلم عما يصطلح عليه بالثنائية البدائية. " (ترجمتنا)

إن التفكير في الترجمة الذاتية، يحتم على الباحث التنقيب في علاقة النتاج الترجمي الذاتي بمصدره، و في علاقة النص المترجم ذاتيا بأصله، و في تقييم مدى أمانة المترجم الذاتي في نقل خصوصيات نصّه، علاوة على الدور الذي تؤديه الترجمة الذاتية كوسيط ثقافي، و كوسيلة تعزز أواصر التواصل و التبادل بين مختلف الثقافات و المجتمعات.

كون الترجمة الذاتية نشاطا ترجميا، يجعلها تخضع لما تخضع له أية ترجمة عادية، و ما يطبق على المترجم الذاتي يطبق على المترجم العادي على حد تعبير فريق **أوتوتراد AUTOTRAD** الذي يعنى بالدراسة و البحث في قضايا الترجمة الذاتية:

« La traduction de l'auteur est une traduction privilégiée, en ce sens qu'elle contient un grand potentiel de réécriture spécialement créative ….l'application des stratégies de la traduction n'est pas caractéristique de l'autotraduction, mais de la traduction en général. »[15]

" تعتبر ترجمة المؤلف لأعماله ترجمة متميّزة، ذلك أنها تحمل في طياتها قدرة كبيرة على إعادة الكتابة المبدعة..، فتطبيق استراتجيات الترجمة لا يخص الترجمة الذاتية لوحدها، بل الترجمة عموما."(ترجمتنا)

و لما كان الأمر كذلك، وجب علينا دراسة هذه الإشكالات في ظل النظرية الترجمية بصفة عامة؛ إذ سنتناول الاستراتيجيات الترجمية التي ينتهجها المترجمون الذاتيون لدى تحقيقهم للفعل الترجمي في نقل الخصوصيات الثقافية للنص الأصلي بين **الأهلنة** و **الأعجمة**[16]، أو ما يعرف بـ الترجمات التوطينية و الترجمات التغريبية.

أ– استراتيجية التوطين Domestication:

لقد تم اقتراح مصطلح التوطين[17] من قبل المنظر و المترجم الأمريكي **لورانس فينوتي Lawrence Venuti** حيث عرفه كما يلي:

« Domestication refers to an ethnocentric reduction of the foreign text to target language cultural values, bringing the author back home. »[18]

" تحيل إستراتيجية التوطين، إلى الإذابة المتمركزة عرقيا للنص الأجنبي في القيم الثقافية للغة المستهدفة أي إرجاع المؤلف إلى موطنه."(ترجمتنا)

هذا يعني، أن إستراتيجية التوطين تعني تحويل القيم التي يتضمنها النص الأصلي، إلى قيم الثقافة المترجم إليها، فتنقص من " غرابته " و من سماته الأجنبية، كي يتوافق و ثقافة القارئ الذي قد لا يعتبر النص المترجم ترجمة، بل ينظر إليه على أنه نص

مكتوب أصلا باللغة المنقول إليها، تماما كما لو أنه منتوج محلي. من أهم السمات التي تميّز هذا النوع من الترجمات، هي الشفافية و السلاسة التي تمحي صفة "العمل المترجم"، كي يصبح نصا جديدا تم تأليفه باللغة المترجم إليها، وهذا ما يؤكده **نورمان شابيرو Norman Shapiro** بقوله:

« I see translation as the attempt to produce a text so transparent that it does not seem to be translated. A good translator is like a pane of glass, you only notice that it is there, when there are little imperfections, scratches, bubbles. Ideally there should not be any. »[19]

" أنا أرى الترجمة على أنها محاولة لإنتاج نص شفاف إلى درجة تجعله لا يبدو مترجما، فالمترجم الكفء هو بمثابة قطعة زجاج، فلا يمكننا الملاحظة بأن النص المترجم " ترجمة " إلا إذا كانت هناك بعض النقائص، و الحزّات، و الزيادات، لكن من المفروض أن لا تكون إذا تم انجاز العمل بإتقان." (ترجمتنا)

و من دعاة منهج التوطين في الترجمة نجد أتباع نظرية النظم المتعدّدة، حيث يتمحور اهتمام هذه النظرية حول ضرورة إدراج العمل الأدبي المترجم ضمن السياق الاجتماعي، و الثقافي، و التاريخي للثقافة المترجم إليها، كي يتمكّن من تبوّء مكانة معيّنة في النظام الأدبي العام. و من خلال ما تقدم ذكره، يمكننا القول بأن نظرية النّظم المتعدّدة، تتبنّى منهجا إستهدافيا بحتا، يرمي إلى مراعاة توقّعات القارئ و الثقافة الوصل، وأضحى شرط تحقيق عنصر " قبول " النتاج الأدبي المترجم في النظام الثقافي المستقبل، معيارا لتقييم مدى توفيق المترجم في نقل نصّه، و من هنا تتأكّد فرضية أنّ إستراتيجية التوطين في الترجمة هي الإستراتيجية الأنسب التي تضمن للمترجم تلقيا جيّدا و صحيحا لعمله الترجمي، فإذا كانت الترجمة موافقة للقيم الاجتماعية و الثقافية للقارئ المستهدف، فهو يستقبلها بكلّ سلاسة و دون أيّة غرابة، و بذا يكون الأثر الذي تخلّفه الترجمة مماثلا للأثر الذي يخلّفه الأصل.

يمكننا القول باختصار بأن منهج التوطين في الترجمة يهدف إلى احترام النص المترجم، و يراعي انتظار القارئ المتلقي للترجمة، و تتبنى الترجمات التوطينية في الترجمة الذاتية الأساليب الترجمية التالية التي تعد خيارات يتّخذها المترجم الذاتي في مساره الترجمي ألا وهي:

- الإبدال La transposition
- التعديل La modulation
- التكافؤ L'équivalence
- التصرف L'adaptation
- الحذف L'omission
- التوضيح L'explicitation
- التعقيب أو حاشية المترجم (الهامش) Les notes du traducteur

على العموم، هذه هي الأساليب التوطينية التي يعتمدها المترجم الذاتي في نقل العامل الثقافي الوارد ضمن نصّه الأصلي، و كثيرا ما نجد أنّ المترجم الذاتي يعتمد و يجمع بين هذه الأساليب المختلفة و المتنوعة في عمل واحد، و يبقى هدفه الأول و الأخير هو إنتاج نص مترجم جميل، و أمين في اللغة المنقول إليها، يتلقاه القارئ بوصفه إبداعا أدبيا جديدا في الأدب المترجم إليه، و هذا يعني أن الترجمات التوطينية هي ترجمات تمحو خصوصيات النص المصدر بجلّ مقوماته اللغوية، و الثقافية و الاجتماعية، و هذا ما يرفضه أتباع النظرية التغريبية الذين يصرون على ضرورة احترام النص المصدر و أصالته، و نقله بكامل" غرابته " للقارئ الذي قد يجد في النص المترجم فضاء للتعرف على الآخر و استقباله في ثقافته باختلافه.

ب_– استراتيجية التغريب **Foreignization ou stratégie dépaysante**:

يعرّف التغريب في الترجمة، على أنه المنهج الذي يتبناه المترجم في نقل النصوص الأدبية من لغة الإنطلاق إلى لغة الوصول بكامل غرابته و أجنبيته الثقافية، و لقد عرّف المنظر **لورانس فينوتي Lawrence Venuti** التغريب على أنه:

« Foreignization is an ethnodeviant pressure on those cultural values to register the linguistic and cultural difference of the foreign text, sending the reader abroad…. It means a target text is produced which deliberately breaks target conventions by retaining something of the foreignness of the original.»[20]

" التغريب هو ضغط منحرف عن المركز، يمارس على القيم الثقافية من أجل الحفاظ على الاختلاف اللغوي و الثقافي للنص الأجنبي، مرسلا القارئ إلى الخارج..... هذا يعني أن إنتاج النص المترجم ينتهك جملة الاتفاقيات السائدة في اللغة الهدف، من خلال الإبقاء على شيء من غرابة النص الأصلي." (ترجمتنا)

فالمترجم يسعى من خلال هذا النوع من الترجمات، إلى المحافظة على الصبغة الأجنبية للنص بغية الحفاظ على الاختلافات الثقافية و اللغوية، التي تنقل القارئ إلى عالم النص المصدر، فيكتشف خصوصيات" الآخر "، و يستقبله بوصفه متميّزا عنه، و كثيرا ما يعتمد المترجمون منهج التغريب في الترجمة لما يتضمنه من إثراء للثقافة و اللغة الأجنبيتين من جهة، و كونه يمكّنهم من ضمان تحقيق عنصر الأمانة للأصل، و من ثمة الصّدق مع القارئ من جهة ثانية على حد تعبير **ستيفن ويلات Steven Willett** حين قال:

« The very process of creative estrangement involved in foreignizing translation is ultimately more faithful to the original, more honest to the reader and more productive of a permanent contribution to literature. »[21]

" تتضمن الترجمة التغريبية في طياتها، مسارا إبداعيا منتجا للغرابة التي تكون أكثر وفاء للأصل و أكثر صدقا مع القارئ، و أكثر إسهاما في الأدب." (ترجمتنا)

فعنصر " الغرابة " يؤدي دورا جوهريا في عملية تلقي العمل المترجم، لا سيما فيما يتعلق بنقل الخصوصيات الثقافية، التي تكون مشحونة بقيم دلالية و جمالية تتحدّد من خلال غرابتها و أجنبيتها عن الآخر، فنجدها تلج إلى عالم الثقافة المستهدفة بكل ما تحمله من اختلاف و لقد أكّد **لورانس فينوتي Lawrence Venuti** على ضرورة حرص المترجم على تحقيق الأمانة لغرابة النص المصدر واصفا إيّاها بالأمانة المفرطة Abusive Fidelity[22] كونها شرطا أساسا في إبراز غيرية الثقافة المصدرية و تميّزها، و التي نجدها تقاوم قيم الثقافة المتلقية و ترفض الخضوع لها .

لورانس فينوتي بأن الحرفية هي المنهج الأنسب الذي قد يتبناه المترجم من أجل تحقيق الأمانة للنص الأصلي، و للثقافة المصدرية على حد سواء، حيث يؤكّدان على ضرورة اتباع إستراتيجية " التغريب " التي تتلخص أساليبها في:

- الاقتراض L'emprunt
- النقحرة أو النقل الصوتي La translittération
- النسخ Le calque
- الترجمة الحرفية Le littéralisme

هذه هي جملة الأساليب المعتمدة في الترجمة التغريبية، و التي يتبعها المترجم لدى التعامل مع العامل الثقافي الذي لا تظهر قيمته إلا داخل الحيّز الثقافي، و الاجتماعي الخاص به على حد تعبير **أوجين نيدا Eugéne Nida** حين قال:

« For truly successful translation, biculturalism is even more important than bilingualism, since words only have meanings in terms of the cultures in which they function.»[23]

" من أجل تحقيق ترجمة موفّقة، يكتسي الازدواج الثقافي أهمية أكبر من تلك التي يتمتع بها الازدواج اللغوي، ذلك أن الكلمات تكتسب جلّ معانيها من خلال الثقافات التي تعمل داخلها." (ترجمتنا)

من خلال ما تقدّم ذكره، يمكننا القول بأن الدراسات الترجمية تقدّم للمترجين إستراتيجيين أساسيتين في ترجمة الخصوصيات الثقافية: ترجمات تغريبية تشدّد على ضرورة إظهار الخصائص اللغوية و الأسلوبية و الثقافية للنص المصدر، و تدعو إلى الحفاظ على غرابته من أجل تمكين القارئ المتلقي من تذوّق العبارات، و التراكيب الخاصة بالنص الأجنبي، و من ثمة تمكينه من الولوج إلى عالم " الآخر " بكامل اختلافه، و تقبّله و استقباله دون تشويه و لا تحريف.

أما الترجمات التوطينية فهي تهدف إلى انجاز ترجمات سلسة و شفافة، يتلقاها القارئ دون غرابة تشوبها و تجعلها مكسوة بمظهر " الأصل"، حيث تنادي بضرورة تحصيل المعاني الواردة ضمن النص الأصلي من خلال استقطاب قصد المؤلف، و تجريده من قشرته اللغوية، و التحرر الكامل من حرفه و من الثقافة التي يعبّر عنها، و يكمن الغرض الأسمى من وراء ذلك، في إحداث الأثر نفسه الذي يتركه النص المصدر في قرّائه من خلال مراعاة المعايير الاجتماعية، و الثقافية الخاصة بالثقافة المستهدفة، فيكيّف ترجمته حسب مقتضيات هذه الثقافة على نحو يجعل الترجمة تظهر كإنتاج محليّ خاص بتلك الثقافة.

إنّ نقل بعض القيم الثقافية التي لا يوجد لها مكافئ في اللغة المستهدفة؛ تجعل المترجم الذّاتي يبتدع أساليب جديدة في نقل نصّه حيث لا يبقى متشبّثا بالمفهوم التقليدي للأمانة و الموضوعية في الترجمة، بل يطلق العنان لقلمه مانحا القارئ الأولويّة من خلال محاولاته تكييف نصّه المترجم قدر الإمكان مع مقتضيات الثقافة المستقبلة، فنجده يضيف تارة أفكارا لم ترد في النص الأصلي، و يحذف تارة أخرى بعض الجمل التي تحمل قيما دلالية كبيرة في النص المصدر.

الهوامش:

[1] قصي الحسين، 2010، انطوان بارمان متسائلا: فروق الترجمة أم تعنيف اللغة الأم، مجلّة المستقبل، العدد 3775، ص 14.

[2] LAGARDE, Christian, 2014, l'Autotraduction aux frontières de la langue et de la culture, textes édités sous la direction de Christian Lagarde et Helena Tanquiero avec la collaboration de Stéphane Moreno, éditions Lambert Lucas, Franc, P.01.

3 موسوعة الأخلاق، على الرابط الإلكتروني التالي: https://ar.m.wikipedia.org، تاريخ المعاينة: 28 أفريل 2021 في الساعة 02:16.

[4] باسنت سوزان، 1999، الأدب المقارن: مقدمة نقدية، ترجمة أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة، ص 160.

[5] DAMESTOY, Pascale Sardin, 2002,Samuel Beckett auto-traducteur ou l'art de l'empêchement, Artois Presses Université, P.35.

[6] LAGARDE, Christian Lagarde, janvier 2015, L'auto-traduction : une perspective sociolinguistique, Revue de sociolinguistique « Glottopol », N°25, P.11.

[7] DAMESTOY, Pascale Sardin, Samuel Beckett auto-traducteur ou l'art de l'empêchement, Op.cit., P.73.

[8] MONTINI, Chiara, Autoctorialité et réception , article consulté sur le lien électronique :https://cmt.U-Paris 10.fr/wp.content , consulté le : 10 mars 2021 à : 03 :44.

[9] LAGARDE, Christian, Aux frontières de la culture et de la langue, textes édités sous la direction de Christian Lagarde et Helena Tanquiero, Lambert-Lucas, Janvier 2014, France, P.11.

[10]LAGARDE, Christian Lagarde, L'auto-traduction : une perspective sociolinguistique, Op.cit., P.03.

[11] LADMIRAL, Jean René,1994, Théorèmes pour la traduction, Gallimard, Paris, P.XV.

[12]SHLEIERMACHER, Fredrick, 1992, On the Different Methods of Translating, in schulte, Rainer and John Biguenet : Theories of Translation from Dryden to Derrida, Chicago and London, the university of Chicago Press, P.42.

[13] NELI EIBEN, Ileana, Le discours traductologique actuel : nouvelles directions et approches de l'auto-traduction littéraire, université de l'ouest de Timişoara, P.28.

[14] OUSTINOFF, Michael, 2003, Bilinguisme d'écriture et auto-traduction : Julien Green, Samuel Beckett, Vladimir Nabokov, L'Harmattan, France,P.17 .

[15] AUTOTRAD, L'autotraduction littéraire comme domaine de recherche, Université autonome de Barcelone/ Espagne, P.93.

[16] كاظم خلف العلي، التوطين و التغريب في الترجمة، مركز " النور " للدراسات، 30 جويلية 2012، على الرابط الالكتروني التالي: http://www.alnoor.se/article.asp?id=8129، تاريخ المعاينة: 17 مارس 2021 على الساعة 04:09 .

[17] Domestication:

ترجم هذا المصطلح إلى اللغة العربية بمصطلحات عديدة نذكر منها على سبيل المثال: التأهيل(أي جعل الأجنبي محليا) أو التأنيس، بيد أن الترجمة الأكثر استعمالا و تداولا هي " التوطين ".

[18] YANG, Wenfen, January 2010, Brief study on Domestication and Foreignization in Translation, Journal of Language Teaching and Research, Vol 01, N° 01, P. 77.

[19] VINUTI, Lawrence, The Translator's Invisibility: A History of Translation, Taylor and Francis e-Library, P.01.

[20] Voir : YANG, Wenfen , January 2010, Brief study on Domestication and Foreignization in Translation, Op.cit, P.77,

[21] WILLETT, Steven J, 2014/2015, Foreignizing and Domesticating Translations: The Case of Pindar, cité dans un mémoire de magistère élaboré par: Khadar Mounir intitulé: ترجمة النص الروائي بين التوطين و التغريب, version non publiée, P.74.

[22] Voir , MARE, Ştefan cel, Translation Practice Between Abusive and Ethnnocentric Reduction : Vanity Fair in Romanian Daniela Marie Martole , University of Suceava, Romania, P.153.

[23] Voir : YANG, Wenfen, Brief study on Domestication and Foreignization in Translation, Journal of Language Teaching and Research, Op.cit., P.77.